كاسحات البحار

كاسحات البحار هي حيتان من نوع القرش يبلغ طولها ٥٥ قدماً وقد يتجاوزها الى الستين وان من بينها ما يزن ١٣ طناً ونصف طن . وعلى الرغم مما يمتاز به هذا الحيوان من ضخامة الجثة فهو لا يترع الى أذى ، ولا يميل الى نشاط . ولكنه شره يريد أن يشبع نهمه لهذا فهو يستعمل مغرزه في تصيد الحيوانات البحرية ذات القشور ، وما اليها ، وان في فمه ما يربي على ٦٠٠٠ سن لا يزيد طول الواحدة على ½ بوصة . وجسمه مغطى بغضاريف مطاطة سميكة ، يصل سمكها في بعض الحيتان البالغة الى أربع بوصات ، وهذه الغضاريف هي دروع قوية صلبة دونها صلابة الحجر الصلد إن شدّت عليها عضلات الجلد

ولقد كتب الدكتور بيت — في احدى رحلاته — يقول ان حوتاً من نوع القرش قد دهمته الحراب غير أنها ارتدت كما لو كانت قد ارتطمت في ألواح من حديد . وجاء في وصف حوت من هذا النوع انهُ أطلق عليه نيف وأربعون عياراً ناريًّا فما بدا عليه أثر ظاهر ، غير أن طلقاً واحداً أحدث خدشاً مستديراً لا قيمة لهُ لأنهُ قذف على مسافة قدمين من الحوت

وفي الحق ، لم يخلق خلق يجمع بين المتناقضات مثل ما يجمع حوت القرش فهو لا يبذل جهداً — رغم ضخامته الخارقة — يدفع به عن نفسه ولو قذف بالحراب أو وقع في أشراكه يحرمها زورق بخاري ، أو قذف بطلق ناري

وفي ذات مرة استشعر الحوت شيئاً ليس في الحسبان يوشك أن يمر به فراح يدور حول نفسه ويحرك ذيله العظيم حركة بطيئة منتظمة ويجر من ورائه القوارب الصغيرة في غير مشقة ولا عناء ولكن خطافاً صدم رأسه فأحدث جرحاً عميقاً فبرز منه ، فات من توّه من أثر ما أصاب رأسه

وحسبان القرش لا يخيلها أن ترى شيئاً كبيراً يسبح ، وليس في عقل واحد منها ما يوحي اليه بأن يخاف مخالقة البحر ، لهذا فهو يطلق على سنه يفتش عن طعام وما في رأيه القاصر أن المذبحة الضخمة ستحتاز نحوه ساعة من زمان ثم تصدمه صدمة قاتلة

وهذا النوع من الحيتان يمتاز بميزات جسمانية تسمو به على جميع مخلوقات البحر ، فما في

جسمه عظم صلب ولكن هيكله يتكوّن من غضاريف أو مواد مطاطة ، ثم هو لا ينضم على حويصلات هوائية — على خلاف ما يوجد في الاسماك جميعاً — ولهذا فهو يتحمر في قاع البحر ان هو فقد الحياة

وهناك فرق واضح بين حوت القرش وباقي أنواع السمك فجلده الخارجي لا تغطيه الحراشيف كما في جميع أنواع السمك بل تغطيه طبقة خشنة هي آلاف كثيرة من الاسنان . ولقد أثبتت التجارب ان جلد هذا النوع يحتمل قوة شدّ قدرها ٥٨٠٠ رطل لكل بوصة مربعة وقد تبلغ قوة احتماله — في بعض اجزاء الجلد — نحواً من ٨٠٠٠ رطل لكل بوصة مربعة

هذا النوع من الحيتان يشغل مقاماً سامياً بين أقرانه لأنه هو أشهر كاسحات البحار ، وما كان له ان يحفظ مكانه لو لم تهيئه الطبيعة بمجموعة قوية من الاسنان الحادة ، وبقدرة عظيمة على الهضم . هاتان منحتان أصاب منهما نصيباً كبيراً . فأسنانه القوية منغرزة في اللثة ، ومن وراء الصف المستعمل صفٌّ آخر ينتظر دوره ليقوم بالعمل ، ولهذا فأسنانه — دائماً — في حالة جيدة من الصحة . ثم هو حين يفقد بعض أسنانه لا يعاني ضرراً دائماً . وان أسنان هذا النوع من الحيتان حادة جداً حتى انها لتستعمل في الحلاقة بدل الموسى

هذا السلاح الرهيب — الاسنان — والقوة العظيمة المكتنزة في فكيه ، وقدرته على ان يحرك في سهولة الفك الأسفل نحو البطن ، كل اولئك يكشف لنا — نوعاً ما — عن القوة الخارقة التي تبدو في بعض الأحايين في هذا النوع من الحيتان

وفي مياه استراليا يستعمل صيادو هذا النوع من الحيتان حبالاً سميكة لا يقل قطرها عن بوصتين ، ثبتت في طرفها خطاطيف غليظة من الصلب . هذه الخطاطيف تنغرز ان انغرزت في جسم الحوت . . . تنفرد من أثر ما تعاني من قوة هذا الحيوان . وقد تنقطع الحبال . وفي بعض الاحايين ينهش الحوت سلسلة تحتمل ضغط ثقل قدره طن . ولقد حدث — مرة — ان حوتاً من هذا النوع عضّ سارياً ، وهو يدفع عن نفسه زورقاً يهاجمه ، فقضم الصاري فقسمه وهو من خشب البلوط الذي سُمْكه ١٥ بوصة

وحين تنعي الاسنان من عملها في الفريسة ، تبدأ عصارات الهضم تؤدي واجبها في المعدة ، هذه العصارات تحتوي على نسبة كبيرة من الحامض الايدروكلوريك لو انصبت على جلد حي لأحدثت به ثقوباً يبدو بعدها كأنه حرق حرقاً شديداً

ومن أعجب ما روي عنه ان وزن كبد هذا الحوت يعادل خمس وزنه الكلي على حين ان وزن كبد الانسان لا يزيد على جزء من واحد وعشرين جزءاً من وزنه . ولقد أجرى ولاس كاسل تجارب استطاع بعدها ان يثبت ان أنسب طريقة لقتل هذا النوع من الحيتان هي ان تصاب في كبده

ولا عجب ان كانت معدة حوت القرش شديدة الاحتمال ،عظيمة القدرة على الهضم، تكفي الانزيمات الهضمية فيها لان تهضم الفحار في دقائق ، وتذيب العظام الصلبة في سهولة ، وتلين القرون حتى تصبح في قوام الغراء ثم هي تذر الحديد نفسه هشًّا متأكلاً

ولقد وجد الكابتن بنج — في ذات مرة — ثماني حذوات حديدية من حذوات الفرس مع خطاطيف وشوكات . ولو اختبرنا بعض الاشياء التي عثر عليها في معدة هذا الحيوان لوجدناه يستحق في جدارة ، لقب « مخزن نفاية المحيطات » . فهو يبتلع في غير عناء جوالاً من لحم الكوك أو الزجاجات أو ٢٥٠ رطلاً من الفرجان واوراقاً ولبنة ملفقة في قماش أملس . وهو يستطيع أن يلتهم أشياء كثيرة اذا تحركت شهوته للطعام ولو بملء القم طعاماً

على أن قدرة هذا الحيوان على ابتلاع الاشياء تبعث على الدهشة والعجب ؛ فلقد قرر ليتون أن صياداً اصطاد حوتاً من هذا النوع فألقى في معدته كيساً به ثماني زجاجات من (البيرة) وهي لا تزال مسدودة كأن يداً لم تمسها

وأنواع حيتان القرش عديدة منتشرة تعيش في جميع بحار العالم تقريباً، وفي بعض الانهار. غير أن نوعاً واحداً منها فقط يعيش دائماً في المياه العذبة . وحوت القرش قد يكون عملاقاً يبلغ طوله ٥٠ قدماً وقد يكون صغيراً لا يزيد طوله على قدمين

ومن حيتان القرش نوع يبعث شكله على الضحك ، وهذا النوع يسمى بالحوت الطحان، لجانب ذيله العلوي يتكون من فصوص يبلغ طولها مبلغاً كبيراً ؛ قد يكون — عند الانواع البالغة — في طول جسم الحوت نفسه

والحوت الطحان ينمو الى عشرين قدماً في الطول ، والى ما يقرب من الف رطل في الوزن

وذيل الحوت الطحان يستعمل أحياناً في لمّ الاسماك الصغيرة في كتل متراصة لتكون فريسة سهلة . وقد يتفق اثنان من هذا النوع فينضم ذيل الى ذيل وينطلقان يجمعان معاً أسراباً من السمك . ثم هي تستعمل ذيلها في تناول الاسماك ، فهي تقذف السمك بذيلها الى الفم حتى اذا التقطت واحدة قذفت الى مسافات شاسعة في الماء من شدة الدفع . والحوت الطحان يهاجم غيره من الحيتان ويجز منها — بذيله — قطعاً كبيرة من الدهن

وهذا النوع من الحيتان ثم لا يجتزىء بقليل من الطعام ؛ فلقد وجد في معدة واحد منها قرابة نصف طن من السمك المسمى بأبي منقار ، وابتلع واحد آخر ١٩ سمكة من الاسقمري واثنين من الزحافة على أن الحوت الطحان ليس خطراً على الانسان مثل حوت القرش

نقلها : كامل محمود حبيب